A56/3
ج٣/٥٦

بيان
الدكتورة غرو هارليم برونتلاند
المديرة العامة
أمام جمعية الصحة العالمية السادسة والخمسين

جنيف،
الاثنين، ١٩ أيار/ مايو ٢٠٠٣

A56/3
Agenda item 3

ج٥٦/٣
البند ٣ من جدول الأعمال

بيان الدكتورة غرو هارليم برونتلاند
المديرة العامة
أمام جمعية الصحة العالمية السادسة والخمسين

جنيف، الاثنين، ١٩ أيار/ مايو ٢٠٠٣

السيد الرئيس، أصحاب المعالي الوزراء، أعضاء الوفود المحترمين، أيها السيدات والسادة،

نلتقي اليوم ونحن في خضّم معركتنا ضد متلازمة الالتهاب الرئوي الحاد الوخيم، وهي أول وباء جديد يظهر في القرن الحادي والعشرين.

وهذا في وقت مازال فيه آخر الأمراض الجديدة الكبرى في القرن العشرين، وهو الأيدز والعدوى بفيروسه، يلقي بثقله على كاهلنا ويأتي على حياة الناس ويدمر المجتمعات.

ونحن على وشك اتخاذ خطوة عملاقة في وقت لاحق من هذا الأسبوع لدرء ما يحتمل أن يثبت أنه أعتى الأمراض الفتاكة بالنسبة لأحفادنا: وأقصد بذلك التدخين.

إننا بسلاح العلم نواجه هذه الأخطار الثلاثة المختلفة التي تتهدد صحة البشرية كلها.

نحاربها بما يتمتع به المهنيون الصحيون من مهارات وعزم وتفان وتصميم.

نحن نتكاتف ويمد بعضنا يد المساعدة للبعض الآخر.

لقد كان التكافل الدولي من أجل التنعم بالصحة يتصدر اهتمامات مؤسسي هذه المنظمة منذ ٥٥ عاماً.

ولكن لم يكن الاعتماد على التعاون عبر الحدود وبين المؤسسات في تحقيق مستقبل آمن ينعم فيه جميعنا بالصحة بأوضح قطّ مما هو عليه اليوم. وهذا يعني تقاسم المعلومات والخبرات والموارد على نحو لا يعوقه عائق. وليس هناك حاجة لأن تشعر أية دولة عضو في هذه المنظمة بأنها تقف وحدها دون معين في مواجهة تلك الأخطار.

إن تصدينا اليوم لمتلازمة الالتهاب الرئوي الحاد الوخيم يكشف عن أفضل ما يتعين علينا السعي للتسلح به كل يوم من الأيام وعلى الدوام. إذ إننا بالمبادرة إلى اتخاذ ما يلزم على وجه السرعة إنما ننقذ أرواح البشر من الهلاك. وبتوفير أحدث التوجيهات والإرشادات إنما نحدّ من مخاطر استشراء المرض.

إننا نوطّد دعائم النظام بالتركيز على الترصد والتصدي، ونساعد بالعمل جنباً إلى جنب وبالتعاون الوثيق مع أبرز معاهد البحوث وأرفعها مكانة في العالم على تقدم المعارف العلمية عن هذه المتلازمة في أقصر فترة.

لقد استخلصنا بالفعل بعض العبر الأساسية من تفشي هذه المتلازمة، وهي:

- أننا بحاجة للاطلاع على المعلومات المتعلقة بتفشي الأمراض حال حدوثها.

- وأننا بحاجة لتقاسم هذه المعلومات على نطاق العالم بوتيرة تفوق في سرعتها حتى سبل السفر والانتقال الحديثة. وقد واصلت المتلازمة انتشارها منذ أن أصدرنا أول إنذار عالمي بشأنها في منتصف آذار/ مارس لتصل إلى العديد من البلدان التي استفادت كلها من حيث القدرة على احتواء الفاشيات ووقفها. وعلينا أن نتأكد من استمرار ذلك كي

لا تصبح متلازمة الالتهاب الرئوي الحاد الوخيم عبئاً على البلدان الأقل قدرة على تحمل تكاليفها.

- أننا بحاجة لتقاسم الاستراتيجيات الناجحة لاحتواء المرض واستخلاص العبر من جوانب الفشل في ذلك.

- وعلينا أن نتثبت مما إذا كانت البلدان الموبوءة تتخذ على النحو الصحيح التدابير الرامية إلى مكافحة هذا المرض أو لا.

لقد كان التعاون العلمي الذي قام في الأسابيع القليلة الماضية بين البلدان والمؤسسات في مواجهة الخطر الناجم عن هذه المتلازمة مثالاً يحتذى ومصدر إلهام لا يستهان به. وعقد كل من المقر الرئيسي للمنظمة والمكاتب الإقليمية والبلدان الموبوءة مشاورات يومية للتصدي لمدى إلحاح هذه الأزمة بالتعاون مع ذوي الخبرة. وقد لعبت شبكات أخصائيي السريريات والوبائيات والفيروسات، وكذلك السياسيين، أجل السياسيين، دورها في هذا المضمار.

ولابد لنا من الحيطة والحذر. فالمعركة لم تحسم بعد. وتتمثل استراتيجيتنا في بذل كل ما يمكن لدحر المتلازمة وقهرها. وينبغي ألا نكتفي بالقول إنه يتعين علينا القبول بها كسائر الأمراض جميعاً التي تفعل فعلها في بني البشر.

السيد الرئيس،

إن عولمة المرض وما يتهدد الصحة من أخطار تعني عولمة المعركة ضدهما.

لقد كانت متلازمة الالتهاب الرئوي الحاد الوخيم نذيرا جعل الجميع يصحون من غفوتهم. لكن الدروس التي تعلمناها تنطوي على ما يتجاوز إطار المعركة ضد هذا الخطر الذي يتهدد الصحة العمومية وحده بمراحل.

ويمكننا أن نشعر بالامتنان لأننا بدأنا قبل ذلك ببنـــاء شـــبكة جيـــدة للترصد العالمي. غير أنه لابد لنا من بذل المزيد من الجهود المضنية لإيجاد القدرات اللازمة لنجاح عملية الترصد وفعاليتها.

إن الترصد الفعال والتصدي العاجل ينقذان الأرواح مـــن الـــهلاك، ويحميان اقتصادات الأمم ويشكلان عماداً أساسياً للأمن القومـــي والدولـــي سواء بسواء. فهل هناك برهان أكثر وضوحاً على الوشـــائج التـــي تربـــط الصحة بالتنمية الاقتصادية من ذلك الذي عملنا جـــهدنا علـــى إثباتـــه فـــي السنوات الأخيرة؟

إنه لم يعد باستطاعتنا أن نعتمد على الجهود الوطنية وحدهـــا فـــي تنفيذ نظام الإنذار والتصدي العالمي الذي يحتاجه العالم اليـــوم حتـــى بعـــد الارتقاء بمستواه. إذ إن الضرورة تقتضـــي وجـــود القـــدرات المختبريـــة والوبائية الأساسية في البلدان، ووجود شبكة مختـــبرات إقليميـــة وشـــبكة عالمية وطيدة الدعائم، وتتطلب مكافحة العدوى علـــى نحـــو نـــاجع فـــي المستشفيات، وهي أمور لا يمكن الاستغناء عن أي منها.

لقد سبق لي أن اقترحت إجراء بعـــض التغيـــيرات الفوريـــة فـــي ميزانيتنا. وسيتناول المدير العام المرشح، هذه القضايا في وقت لاحق مـــن هذا الأسبوع.

إن الأحداث التي شهدتها الأسابيع القليلة الماضية تدفعنا أيضاً إلـــى إمعان النظر في الصكوك القانونية الوطنية والدولية. فـــهل هـــي تواكـــب متطلبات هذا العالم المتغيّر بسرعة وتلحق به؟

إن تنقيح اللوائح الصحية الدولية يشكل أولوية قصـــوى، بـــالطبع، لكننا نواجه العديد من التساؤلات في هذا المضمار. إذ ما هـــي الالتزامـــات القانونية التي تتحملها الدول ذات السيادة فيما يتعلق بالإبلاغ عن المعلومـــات الصحية الحساسة ونقلها؟ وما هي أنجع السبل للربط بين الالتزامـــات فـــي مجال حقوق الإنسان وضرورة تقييد الحرية الفردية للوقايـــة مـــن انتشـــار الأمراض؟ وكيف يتعين أن تتناول البلدان موضوع الهجرة بطرائـــق تكفـــل حماية الصحة العمومية؟

السيد الرئيس،

إننا في حاجة إلى أن نبني جسور الثقة والتكافل.

إذا استطاع العالم أن يتوحد في التصدي لمتلازمة الالتهاب الرئوي الحاد الوخيم هذه، فإن باستطاعتنا أن ننجح في التصدي لباقي المعضلات الصحية، وأن نفهم فهماً أكمل كيف أن الصحة أساس التنمية.

إن الصندوق العالمي لمكافحة الأيدز والعدوى بفيروسه والسل والملاريا يشكل مظهراً هاماً من مظاهر التكافل. لكنه إذا حقق النجاح الذي ينشده، فإن على من تتوفر لديهم الموارد أن يدعموا التزامهم بأموال حقيقية – لا أن يتبرعوا بالمال مرة واحدة وانتهى الأمر – بل على نحو منتظم يمكن الركون إليه.

وحيثما تنعدم الثقة، تتصلّب المواقف بسهولة بالغة. إن المأزق الذي يكتنف مناقشات منظمة التجارة العالمية بشأن إعلان الدوحة لا يعود بالنفع على أحد. لا على قضية الصحة، ولا على قضية التجارة، ولا على قضية حقوق الملكية الفكرية.

إن الجمود الذي يصيب المفاوضات الحاسمة إنما يفتح الباب على مصراعيه لاستمرار حدة المشكلات التي تهمنا جميعاً أكثر ما تهمنا لأنها تلحق الأذى بالاقتصاد العالمي. والإخفاق في إيجاد حل إنما يقوّض دعائم المؤسسات المعنية. إذاً فبناء جسور الثقة، وكذلك روح التضامن يشكلان عنصرين حاسمي الأهمية في أي حل سياسي.

لقد قطعنا شوطاً كبيراً في خفض أسعار بعض الأدوية الحيوية المنقذة للأرواح إلى مستويات تتيح معالجة الفقراء في أشد البلدان فقراً، وذلك لأنها حق من حقوقهم. غير أن الشقة أمامنا لاتزال بعيدة ولابد لنا من حث الآخرين على الانضمام إلى صفوفنا في هذه الرحلة، لأن تحديد أسعار أكثر عدلاً لا يتوقف على اتباع نهج واحد فحسب بل يتطلب العمل على العديد من الجبهات، وبذل الكثير ممن لهم مصلحة في هذا الأمر المزيد من

الجهد. علينا أن نمدّ الجسور مع البلدان والمجتمع المدني كي نحدث تغييراً حقيقياً.

ولا تتوفر لنا في معركتنا ضد المرض كل الوسائل التي نحتاجها. فهناك رابط وثيق بين الابتكار وحماية حقوق الملكية الفكرية. ويعدّ إيجاد الضمانات بأن تسفر نظم براءات الاختراع عن تشجيع البحوث وألا تعوق خطى التعاون العلمي الدولي تحدياً لا يستهان به أبداً – سواء كان الهدف متلازمة الالتهاب الرئوي الحاد الوخيم أو أي خطر آخر يتهدد صحة الإنسان.

السيد الرئيس،

ينبغي أن يكون التمتع بالصحة في مرحلة الطفولة المعيار والقاعدة في كل مكان. وليس بمقدور منظمة الصحة العالمية لوحدها أن تغيّر البيئة التي يعيش فيها أطفالنا ويتلقون تعليمهم ويلعبون. غير أنه يمكن تحقيق ذلك بالعمل سوية مع الآخرين. فالبيئة الصحية ضرورية لنمو الأطفال نمواً صحياً، هو شعار يوم الصحة العالمي لهذا العام، وينبغي أن يكون التحالف من أجل اللقاحات والتمنيع الأساس الذي يوجّه العمل الدولي.

فلا يجوز أبداً السماح بتراجع مستويات التمنيع. والضرورة تقتضي منا مواصلة استحداث لقاحات جديدة واستعمالها. إن التحالف العالمي من أجل اللقاحات والتمنيع هو خارطة الطريق التي ينبغي اتباعها. ذلك أنه قد أمكن الوصول الآن إلى ثلاثة ملايين طفل لم تتوفر لهم الحماية من قبل بفضله.

إذاً فلنقطع المسافة الأخيرة المتبقية أمامنا ونستأصل شلل الأطفال من جذوره.

وليس هناك إرث أعظم نفعاً نتركه لأطفالنا والأجيال المقبلة من اعتماد الاتفاقية الإطارية بشأن مكافحة التبغ في جمعية الصحة هنا. ومن ثم نعكف على إيجاد السبل الكفيلة بتنفيذها في أقرب وقت ممكن.

لقد كانت الجهود مضنية وهائلة سواء تلك التي بذلناها نحن أو المجتمع المدني أو الحكومات أو تلك التي بذلها موظفو المنظمة.

واسمحوا لي أن أتوجه بآيات التقدير لرئيسيّ عملية التفاوض، وزير الخارجية سلسو أموريم والسفير لويث فيليبي دي سيكاس كوريّا من البرازيل. وأن أتوجه بالشكر كذلك لجميع المتفاوضين. لقد تحلوا بروح الاحترام والتفاهم المتبادلين فعلاً رغم الساعات الطويلة التي أمضوها في هذا العمل الشاق.

وأود هذه المرة أيضاً أن أشيد ببلدي، النرويج، الذي كان أحد البلدان التي وضعت معالم الطريق إلى الأمام في هذا الميدان. حيث إنه فُرض بالفعل حظراً على الإعلان عن التبغ منذ ٣٠ عاماً، أي قبل أن أنتقل أنا نفسي من مجال الصحة العمومية إلى العمل السياسي والبيئي.

وقد اختير يوم الأربعاء ٢١ أيار/ مايو ٢٠٠٣ ليكون يوماً تاريخياً؛ ولنفخر جميعاً بمشاركتنا فيه. فسيتمتع مليارات البشر من الأجيال القادمة بصحة أوفر وسوف يعيشون حياة أطول وأكثر إنتاجية لأننا قررنا العمل معاً.

السيد الرئيس،

لقد قام ساسة البلدان الممثلة في هذه القاعة بالتوقيع على مجموعة من الأهداف الواردة في إعلان الألفية. وهناك، من بين الأهداف الثمانية، ثلاثة أهداف تتعلق بالصحة ومن بين الغايات الثماني عشرة تتعلق ثماني غايات بالصحة ومن بين المؤشرات الثمانية والأربعين يتعلق ثمانية عشر مؤشراً بالصحة. فالصحة، مرة أخرى، هي لب التنمية. وسيواصل الساسة تحديد محور لتركيز عملنا معاً.

وهذه المجموعة ليست فقط مجموعة أخرى من الغايات التي يتعين أن تبلغها البلدان النامية. فهي أيضاً تعبير عن ميثاق أو اتفاق. فالمسألة تنطوي على الغايات المنشودة، من ناحية، والظروف اللازمة لبلوغها من

ناحية أخرى. وعلى البلدان النامية، هي الأخرى، تقع مسؤوليات عليها أن تنهض بها.

فلنفهم الأهداف والمؤشرات بوصفها رموزاً، وباعتبارها طريقة من طرق رصد التقدم المحرز. فهي ليست القصة الكاملة. والمهم بالطبع هو الحدّ من المرض بالفعل. ويعني ذلك أيضاً الجدّ والجهد في معالجة محددات المرض ومسائل الصحة الإنجابية والأمراض غير السارية والإصابات والعنف. وهذا هو ما يخفف من وطأة الفقر.

إن تركيز الأهداف الإنمائية للألفية ينصب على الحصائل. وهذا ما لا يجافي الحقيقة والواقع. ولكننا نعلم أيضاً أن النظم الصحية الوطنية التي لديها موارد كافية لها دور أساسي في تحقيق تلك الحصائل.

إن الجيل الذي سبقنا ذهب إلى ألما آتا منذ خمسة وعشرين عاماً مضت. ومازالت رسالة العدالة والرعاية الصحية الأولية تكتسي الأهمية ذاتها التي كانت تكتسيها آنذاك.

لقد زاد فهمنا للنظم الصحية إلى حد بعيد. ولكن ما لم ينجز بعد لايزال هائلاً ضخماً.

فالبلدان تلتمس المشورة بشأن ميزات وعيوب مختلف الأساليب الخاصة بالنظم الصحية وتمويلها. وما لم يول اهتمام أكبر لمسألة الموارد البشرية فلن تتمكن بلدان كثيرة من تنفيذها، حتى لو توافر ما يلزم من مال. والبلدان تتساءل: ما هو دور الدولة فيما يتعلق بالقوامة على النظام الصحي في مختلف الظروف السائدة على الصعيد الوطني؟

والواقع أنه لا توجد، في أحيان كثيرة، إجابة صحيحة دون سواها على الأسئلة الخاصة بالنظم الصحية. والبلدان تحتاج إلى القرائن العلمية والمشورة في شكل يساعدها على تحديد الاختيارات في سياق سياسي ومؤسسي يتسم بالتعقيد.

وهناك اهتمام دولي بالغ بتعزيز النظم الصحية العادلة في أفقر البلدان. وليس لدينا صندوق عالمي لمساعدة النظم الصحية، ولابد أن نجد حلاً لتحقيق التكامل بين الجهود الوطنية والتمويل الدولي. إنني أعتبر ذلك أهم تحدّ يواجهنا اليوم على الإطلاق – أي التوصل إلى إقامة نظام صحي متين وصامد إلى حدّ يمكّنه من التصدي للمخاطر الجديدة فور ظهورها، في الوقت الذي يوفر فيه التدخلات الناجعة ضد الأمراض الحالية التي من شأنها أن تساعد على إنقاذ الفقراء من براثن الفقر.

السيد الرئيس،

من الضروري أن تعمل البلدان معاً لدى مواجهة التحديات الخاصة بإعادة بناء النظم الصحية في البلدان المنكوبة بالحروب، والتحديات المتعلقة بمكافحة الأوبئة وبمواجهة المأساة التي يتسبب فيها مرض الأيدز، والتحديات المتمثلة في الصحة النفسية عندما يتعلق الأمر بحماية النساء والأطفال.

إن الحرب التي دارت في العراق وإعادة بناء هذا البلد، إلى جانب تفشي متلازمة الالتهاب الرئوي الحاد الوخيم (SARS)، وكذلك الأيدز والعدوى بفيروسه في أفريقيا، هي أمور تُظهر جميعاً مدى أهمية العمل الذي تقوم به منظمة الصحة العالمية في البلدان. ونحن في حاجة إلى تعزيز حضور المنظمة في البلدان وتوفير الوسائل الأفضل من أجل تدعيم القدرات الوطنية في مجال الصحة.

السيد الرئيس، المندوبون الموقرون،

لن يكتب للتنمية الاستمرار ولن ينعم العالم بالأمن إذا لم نكافح الأمراض التي تتسبب في الفقر وتنتج عنه.

فللصحة أهمية حيوية بالنسبة إلى التنمية.

وسيظل الفقراء مهيضي الجناح وسيظلون محرومين من الحرية الأساسية إلى أن تعتبر الحكومات الصحة من الحقوق الأساسية.

ونحن نعلم جميعا أن هناك تنافسا على الحصول على الموارد العامة للحكومات الوطنية والجهات المانحة. وما نحن إلا جزء من جهد أعم يبذل من أجل التنمية وتشارك فيه قطاعات كثيرة.

ولكن حصة الصحة من الإنفاق الوطني ضئيلة إلى أبعد حد في عدد كبير جدا من البلدان. وليس هناك خيار أمامنا إلا السعي إلى زيادة هذه الحصة.

وإني أناشد في هذا الصدد جميع رؤساء الحكومات ووزراء المالية أن يمعنوا النظر في القرائن العلمية التي جمعناها على مدى السنوات الخمس الماضية، ولاسيما بفضل جهود اللجنة المعنية بالاقتصاد الكلي والصحة.

وعليكم أن تتذكروا دائما وأبدا أن الأمر لا يتعلق بالميزانيات فقط. وقد كنت ذكرت في السنة الماضية أن هناك في كل يوم وكل ساعة وكل دقيقة أناس من بني جلدتنا يعانون وهم أدنى ما يكونون من الموت المبكر. أما عن الأسر التي تعيش مآسي فحدث ولا حرج.

ونحن نعتمد على زيادة التضامن وزيادة الدعم العالمي المقدم للتنمية التي تركز على الناس. وتعلمون أنه في كل ما ذكرته آنفا فإن المنظمة تعمل مع الآخرين.

ودعوني أطرح سؤالا محددا: كيف نعمل نحن في إطار الشراكات القائمة؟ وكيف نعمل مع الجهات الأخرى؟ إنني أعرف أن البعض كان يحذر ويخشى من عواقب الانفتاح على الآخرين.

إننا على حق في توخي الحرص على الدوام. ولكن صوت المنظمة تعزز إلى حد بعيد من خلال الإصغاء إلى الآخرين والعمل معهم، ومن خلال التعلم من الشركاء.

وإنني أؤمن بأن دورنا في مجال القوامة العالمية تعـــزز بصـــورة كبيرة من خلال الاعتراف بأننا نستطيع أن نفعل الكثير الكثير عن طريـــق إقامة التحالفات.

ولكن لا تدعوا أحدا يتصور أن المنظمة بدأت تتراخى وتتقـــاعس. إن لدينا من الأدوات الحازمة ما نستخدمه إذا دعت الضرورة إليـــه. وهـــذا الحزم مازال يستند إلى قاعدة علمية متينة وإلى المساندة من قبـــل الـــدول الأعضاء وإلى موظفين مهنيين ومستقلين.

وأود أن أعرب عن التقدير لجميع ممثلينا القطريـــن وموظفيـــهم، الذين يعملون على الخط الأمامي.

وأود اليوم أن نتذكر الدكتور كارلو أورباني الذي كان يعمـــل فـــي مكتبنا في فييت نام. فقد أصيب الدكتور أورباني بمتلازمة الالتهاب الرئـــوي الحاد الوخيم (سارس) عندما كان يعالج ضحايا هذا المرض. وقد ســـاعدت جهوده الجبارة على تعريف هذا المرض الجديد ووقف انتشاره على النطـــاق العالمي. ونحن ننوه تنويها خاصا به وبكل العاملين الصحيين الذين أصيبـــوا بالمتلازمة.

وأود أيضا أن نتذكر السيد ماريان باكرو، مديرنا التنفيـــذي لدائـــرة الإدارة العامة، الذي خدم منظومة الأمم المتحدة طيلة ٣٥ عامـــا وتوفـــي الأسبوع الماضي على غير توقع. فقد ضرب أروع مثل لما تعنيـــه خدمـــة المجتمع الدولي.

وأن نذكر موظفينا الوطنيين في العراق، الذين ظلوا يعملون أثنـــاء الحرب، فقد بذلوا جهودا تثير الإعجاب فعلا.

وإنني لأفخر فخرا بالغا بموظفي المنظمة على صعيد العالم إذ إنـــهم يسدون خدماتهم إليكم وللناس الذين نخدمهم جميعا.

السيد الرئيس،

لقد انقضت خمس سنوات منذ ألقيت خطبة قبول التعيين من على هذا المنبر. وفيما أعد العدة اليوم لتسليم مقاليد الأمور والشرف العظيم الذي تمثله خدمة هذه المنظمة الحيوية، وأهدافها وقيمها ومبادئها، فإنني على ثقة تامة بأن المنظمة أصبحت اليوم أقوى وأفضل استعدادا للارتقاء إلى مصاف التحديات العالمية المستجدة.

ومن دواعي سعادتي أن أرى أن الدور الأساسي للصحة في مستقبل الإنسان قد أصبح مفهوما إلى حد يفوق بكثير ما كان عليه منذ خمس سنوات مضت.

وبوسعي القول بكل امتنان وتواضع إن من شد عضدي وعمل معي في النهوض برسالتنا المشتركة هذه أناس كرسوا أنفسهم للعمل الشاق في كافة أرجاء المعمورة.

وشكرا لكم.